سوسيولوجيا المقاولة في الجزائر من المداخل الكبرى إلى الدراسات المعاصرة

رحماني إسحاق ، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة 1
أ.جاب الله طيب، جامعة أكلي محند اولحاج البويرة

الملخص :

لقد أصبح الفعل المقاولاتي حسب العديد من المختصين أداة فاعلة للتخفيف من المشاكل الاجتماعية وتحقيق التنمية بكل أشكالها وتوفير فرص العمل لدى مختلف الدول، والجزائر من الدول التي عرفت ظهور الفعل المقاولاتي الخاص، هذا الفعل السوسيو–اقتصادي عانى التهميش نتيجة إيديولوجيات فكرية، جعلت من القطاع المقاولاتي الجزائري يمر بعدة مراحل، التهميش ثم الشرعية والاستقلال، والدراسات السوسيولوجية تبين ذلك بداية من النظريات السوسيولوجية الأولى إلى الدراسات التي اهتمت بالمقاولة في الجزائر كدراسة "**بيار بورديو**" حول العمل والعمال الجزائريين والمقاولات الحرفية ودراسة "**بيناف**" وتحليله للمقاولين الجزائريين منذ الاستقلال إلى سنوات الثمانينات ودراسة "**جيلالي ليابس** "حول المقاولين والباترونا الجزائريين. واهتمام الشباب بالفعل المقاولاتي الخاص مزال متواصلا، في ظل تهيئة المناخ الاستثماري في الجزائر وا زالة كل العراقيل والمشاكل التي يتعرض لها الشباب المقاول، وسنحاول في ورقتنا البحثية هذه التعريف بالنسق السوسيولوجي الذي اهتم بالفعل المقاولاتي بشكل عام والدراسات السوسيولوجية بشكل خاص

الكلمات المفتاحية : النظرية السوسيولوجية، المقاول، الفعل المقاولاتي في الجزائري.

Résumé:

L'entreprenariat –selon plusieurs spécialistes – est devenue un acte efficace pour diminuer les problèmes sociaux et réaliser le développement , et créer des postes d'emploi ،l'apparition de l'entreprenariat en Algérie comme élément socio– économique a pris du temps avant d'être légalisé puis l'indépendant, un retard du aux idéologies. les études l'ont montré depuis les premières théories jusqu'aux derniers travaux sur l'entreprenariat en Algérie tel que l'étude de Pierre Bourdieu sur le travail et les travailleurs en Algérie, l'analyse de peneff faite sur les entrepreneurs en Algérie depuis l'indépendance jusqu'aux années 80, et l'étude de Djilali Liabes sur l'entreprenariat et le partenariat en Algérie ،.l'intérêt des jeunes algériens envers l'entreprenariat dans le secteur privé est toujours actif, avec les efforts faits pour encourager l'investissement et éliminer les problèmes qui empêchent les jeunes d'avancer leurs projets.

Et dans cette étude, nous essayons de définir le système sociologique intéressé à l'entreprenariat en général et spécialement les études sociologiques réalisées.

Motes clefs: théorie sociologique, l'entrepreneur, l'entreprenariat en Algérie

مقدمة:

تعتبر المقاولة من المفاهيم الأكثر تعقيدا وتشعبا نتيجة توسعها، فهي مجال للبحث لدى الاقتصاديين والاجتماعيين الذين اهتموا بتطور المقاولين وومؤسساتهم ومعرفة مدى مساهمتهم في تحقيق التنمية، والجزائر من الدول التي عرفت ظهور الفعل المقاولاتي في القطاع الخاص بكل أشكاله الحرفي، والفلاحي والصناعي منذ المرحلة الاستعمارية.

وعليه سوف نتناول في هذه الدراسة المقاربات السوسيولوجية لكل من كارل ماركس وماكس فيبر وباريتو كمداخل سوسيولوجية لدراسة الفعل المقاولاتي، إضافة إلى التطرق لأهم الدراسات الجزائرية السوسيو– اقتصادية التي اهتمت بالمقاولة في القطاع الخاص وعملت على تحليل الفعل المقاولاتي.

مشكلة الدراسة:

لقد أصبحت المقاولة مفهوم شائع الاستعمال ومجال للبحث لكل من الباحثين الاقتصاديين والاجتماعيين الذين يهتمون بتطور المقاولين ومؤسساتهم ومدى تحقيق للتنمية المجتمعية، وعلم الاجتماع من المقاربات التي اهتمت بهذا الفعل انطلاقا من السوسيولوجيا الأولى سوسيولوجية "ماكس فيبر" و" كارل ماركس " والاهتمامات السوسيولوجية بالعمل وصولا إلى سوسيولوجيا التنظيمات، على ما يسميه الباحث " ميشال فودريا " نظريات العقلانية المحدودة والفاعل

الاستراتيجي".(1)ويوجد من يسميه بحقل التحليل التنظيمي.(2) وصولا إلى سوسيولجيا المقاولة، هذا الذي اهتم به علماء الاجتماع أكثر واعتبار المقاولة على أنها كيان اجتماعي قبل أن تكون كيان اقتصادي، منتجة لعلاقات اجتماعية، ويعني هذا أن الفعل المقاولاتي طلب الاستشارة السوسيولوجية من العالم الاجتماعي.

والجزائر من بين الدول التي اهتمت بالبناء السوسيو– اقتصادي منذ الاستقلال وتحقيق التنمية ومن بين أشكال التنمية الفعل المقاولاتي الخاص الذي عاني الأمرين بسبب تهميشه، وانخفاض مصادر تمويله، وهذا راجع إلى صراع إيديولوجي في الاقتصاد الجزائري ما بين الاشتراكية الحاكمة آنذاك والرأسمالية الجديدة، لكن مع الإصلاحات الاقتصادية والتوجه نحو اقتصاد السوق عرف القطاع المقاولاتي نوع من الاستقلالية الاقتصادية خاصة مع انتشار المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وارتفاع عدد المقاولين.

إذن من أين تستمد المقاولة مشروعيتها العلمية ؟ ما معنى أن تكون المقاولة موضوعا سوسيولوجيا ؟ هل يمكن أن نتبنى تصورات سوسيولوجية للفعل المقاولاتي؟ وكيف قارب علماء الاجتماع الظاهرة المقاولاتية ؟ وما الذي أضافته السوسيولوجيا على فهم الفعل المقاولاتي في الجزائر.

1- المقاولة في الفكر الماركسي :

تعتبر كتابات" كارل ماركس "على مر التاريخ عظيمة الأثر في الحقل السياسي والاقتصادي، والاجتماعي خاصة مؤلفه الشهير " **رأسمال**"، وهذا ما دعمه "**ريمون ارون**" في كتابه مراحل الفكر الاجتماعي، حيث اعتبر المرحلة الماركسية مرحلة تطور العلوم الثلاث (علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة) حينما حاول فهم المجتمع الصناعي في ظل الكيان الرأسمالي الاقتصادي (3). ففكر **ماركس** السوسيو– اقتصادي حسب " **ريمون ارون** " هو تحليل وفهم للمجتمع الرأسمالي ووظائفه الاقتصادية الاستغلالية.

ركز ماركس في المقام الأول على الرأسمالية القائمة على الربح والتنافس، حيث يكون التقدم التقني والمكننة الإنتاجية بالقوة سلاحا للرأسمالي لضمان البقاء في الإنتاجية.(4) واعتبر المقاول هو ذلك الفرد الرأسمالي الذي يعمل على تراكم رؤوس الأموال(5). فمن خلال تعريفه للرأسمالية يرى بأنها نظام للإنتاج يختلف بصورة جذرية عن النظم الأخرى ونجده قد حدد عنصرين أساسين يميزان الإنتاج الرأسمالي هما: الرأسمال (المعدات والمال) والعمل بالأجر، ويرى ماركس انه من يمتلكون رأس مال (الرأسماليين) هم الطبقة الحاكمة، بينما أغلبية العاملين هم **البروليتاريا**.(6) فالرأسمالية تشكل بطبيعتها نظاما طبقيا تتميز فيه العلاقات بنمط صراعي، وهي علاقة تبادلية ما

بين قوة العمل والأجر، تتميز بالاستغلال والصراع الذي يزداد بقوة مع مرور الوقت.(7)

كما يعتبر ماركس من الذين يشجعون على الملكية العامة لوسائل الإنتاج، فهو يعتبر المقاول عبارة عن جماعة تتمثل في الدولة، أما الفرد المقاول فهو ذلك الشخص المنتج كجزء من العائلة، يتخذ أشكالا وتطورات مع مرور الوقت، نتيجة تفاعله بالطبقة الحاكمة الرأسمالية المستغلة للبروليتاريا (8) ، هولا ينفي الفعل المقاولاتي الخاص ولكنه يشجع على المقاولة الجماعية من اجل القضاء على الاستغلال الطبقي فقط.(9) وهذا التحديد لن يؤثر على المجتمع، ولن يقسمه إلى طبقية صغيرة احتكارية للسلطتين الاقتصادية والسياسية،وا ٍنما سيؤدي هذا حسبه إلى قيام نظام اقتصادي بملكية جماعية، بمجتمع أكثر إنسانية من ذاك المستغل، وبإنتاج أكثر(10).

فمن خلال التحليلات السابقة للسوسيولوجي " كارل ماركس " حول الرأسمالية وتطرقه للفعل الاقتصادي الرأسمالي، نستنتج أن المقاول هو الرأسمالي الاحتكاري الذي يستغل الطبقة العاملة التي يجب عليها أن تتحد لكي تسترد حقها المهضوم، وبالتالي ينتج لنا مجتمع تحكمه علاقات صراعية، فالمقاولة في الفكر الماركسي هي مؤسسة تحكمها الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج.

2 – مورفولوجيا الفعل المقاولاتي عند " ماكس فيبر" :

لقد أكد ماكس فيبر على أن الفعل الاقتصادي هو فعل اجتماعي.(11) وسعى إلى فهم طبيعة التغير وأسبابه، متأثرا بـ"كارل ماركس" على الرغم من انه قد وجه له انتقادا في بعض مفاهيمه. فالعوامل الاقتصادية مهمة في نظره، غير أن الآراء والقيم لها أهمية تأثير مماثل على التغير الاجتماعي".(12) وفي نشأة الرأسمالية، والأخلاق الدينية، فالأولى هو أنه يجب أن يكون هنالك نمط حياة خاصة في العمل، ومنه فالعمل المقاولاتي هو أحد الوسائل التي يلجأ إليها المقاول الحديث لكي يحصل على المردود وبما أن فوائده تزداد فهو يبحث دائما عن التخزين والادخار... فالتنظيم الرأسمالي يجعل المقاول يمارس نشاطا تجاريا أو صناعيا وهذا هو النموذج المثالي للمقاول الرأسمالي(13). كما أعطى فيبر أهمية للأخلاق الدينية البروتيستانتية لممارسة الفعل المقاولاتي، فالتوافق بين الإصلاح البروتستانتي وروح الرأسمالية أنتج طبقة المقاولين.

وبالنسبة إلى صور المقاولة لدى ماكس فيبر فإنها تتضح لنا من خلال دراسته لمورفولوجية المؤسسات الدينية والاجتماعية والاقتصادية، فهويرى بأن مسير المؤسسة يسعى إلى الربح والتسيير العقلاني، وهنا تبرز الشخصية المقاولاتية ذات الميزة العقلانية والكاريزيمة، ويشير فيبر إلى إمكانية ظهور بعض الثغرات كالسيطرة اللاعقلانية على المؤسسات من طرف رجال الأعمال، وهذا ما يؤدي

إلى ظهور أزمات اقتصادية (14). والفكرة التي نستخلصها من هذا الطرح الفيبيري هي أن فعل المقاولة يتطلب شخصية فريدة واستثنائية، تحمل خصائص كاريزماتية، وأن صيرورة المقاولة تتمحور وترتكز بشكل أساسي على فاعل مركزي، كما أن الأخلاق الدينية والعوامل الثقافية للمقاولة هي سر نجاح العقلنة الاقتصادية ونشأة المجتمعات الصناعية تحت لواء الرأسمالية.

3- المقاول محرك التنمية عند " شومبتر" :

عندما نتحدث عن "شومبتر" فإننا نتكلم عن المدرسة النمساوية للمقاولة، حيث يعتبر المنظر الرئيسي للمقاولة في نظرية الدور الاقتصادي، وتم دراسة المقاول في هذه نظرية وفق مرحلتين :

- المرحلة الروتينية تتميز بالاقتصاد المتماثل.
- مرحلة الخروج من الروتين إلى الدور الاقتصادي، وفي مرحلة الخروج حسب شومبتر يعود الفضل للمقاول، الذي يعتبره المحرك الأساسي للتطور الاقتصادي(15).

المقاول عند شومبتر ليس مجرد مسير أو ممول،وا نما هومبدع ولقد حدد مجموعة من السمات التي يجب أن تتوفر في الشخصية المقاولاتية لإحداث الثورة في طرق الإنتاج الروتينية كأن يكون ذو شخصية كاريزمية تعتمد على الإدارة وقوة التسيير.

كما أنه قد أشار إلى وجود نوعين من المقاولين، الأول تكراري، ينشئ مقاولة جديدة على غرار مقاولات موجودة، أما الثاني فو مبدع

ينشئ وينظم مقاولة جديدة للسوق ...(16)، يرى بأن المقاول هو المحرك الباطني للتغير في النظام الر أسمالي وهو يعتبر المحور الذي يدور عليه كل شيء، كما يؤكد على أن دافع المقاول ليس المال، ولكن الإبداع.

ونستخلص في الأخير بأن المقاول عند "شوميتر" هو عنصر السوسيولوجيا الاقتصادية الذي يوظف نفسه، والذي يتمتع بالاستقلالية التامة ويبادر بمبادرات ووظائف إبداعية، وفعل المقاولة لا يخضع فقط لمعايير حسابات (التكلفة والفائدة) أي العقلانية الآلية،وا نما يخضع لعقلانيات أخرى تعد أساسية في فعل المقاولة.

4- اللاعقلانية الاقتصادية عند فالفريدوباريتو:

لقد خلق سلوك المقاول في النظريات الاقتصادية مشكلا في الدراسات الاقتصادية المؤسسة على الفعل اللاعقلاني، ويمكن أن يظهر هذا في عرض " باريتو" في تناوله للمقاول في العملية الاقتصادية.

فالمقاول لدى " باريتو" يبحث دائما على الربح الممكن عن طريق مزج عوامل الإنتاج بأسعار السوق وفي ظل المنافسة الاقتصادية، ففعل المقاولة ليس مركزا على الأسعار ومعطيات السوق فقط، بل كذلك على المعطيات التقنية للإنتاج، وكميات الإنتاج المخصصة في السوق.(17)

وهو سلوك لاعقلاني، يعتمد على ذاتية في الربح، وتنعدم فيها الموضوعية الاقتصادية، حيث تمر العملية المقاولاتية بمنهج لا منطقي يهدف إلى الربح فقط، دون مراعاة الجوانب الاجتماعية والبيئية للفعل المقاولاتي.

5- من سوسيولوجيا التنظيمات إلى سوسيولوجيا المقاولة:

من الملاحظ أن السوسيولوجيا توسع مجال اهتمامها مع مرور الزمن، وبقدر ما انفتحت على ظواهر اجتماعية جديدة، بقدر ما ظلت وقائع أخرى تنتظر تدخل السوسيولوجيا، كما أوضح كل من جورج لاباساد وريني لورو." ...داخل نمط إنتاجنا ذاته، قطاعات من المجتمع انتظرت قليلا قبل أن تطلب تدخل السوسيوولجيا" (18) ، فالعديد من القطاعات في مجتمعنا تنتظر تدخل السوسيولوجي والمقاولة من القطاعات التي طلبت تدخل السوسيولوجي لأنها "...عبارة عن وسط اجتماعي يتأثر بما يجري في محيطه من أحداث ووقائع، ويتغير بتغير المعطيات التي تدخل في صميمه ككيان فريد ومتميز.. ويكفي للاقتناع بذلك أن ننظر إلى ما يحدث عندما تنتقل ملكية المقاولة من صاحبها إلى ابنه الأكبر أو إلى ورثته، كما هو الحال بالنسبة للعديد من الشركات، حيث تظهر حقائق جديدة في واقع المقاولة..."(19)

وفي هذا السياق يمكن القول أن اهتمام علماء الاجتماع بالمقاولات كان لبلوغ مستوى التعقيد وتوسع الأنشطة الاقتصادية وكذلك عدم الوعي بالتغير وقوانين المنافسة، ومتطلبات سوق الشغل، وما تعرفه التطورات التكنولوجية الواسعة، كذلك تجاوزت المقاولة الكيان المادي الاقتصادي وانتقلت إلى الكيان الاجتماعي تنتج قيما يتشارك فيها جميع الأفراد وتكون فضاء للتنشئة المهنية، ومحيط منتج للثقافات فهي تتوفر على كامل الخصائص الدوركايمية للمؤسسة الاجتماعية، كل هذا لفت انتباه علماء الاجتماع من خلال مسارات سوسيولجية للفعل المقاولاتي، فما هي هذه المسارات؟

أ – **المرحلة الأولى** : هي مرحلة علم الاجتماع الصناعي أو علم الاجتماع العمل، وفي هذه المرحلة كانت التفسيرات والتحليلات السوسيولوجية، تهتم بدراسة النسق الاجتماعي للمصنع من خلال علاقات العمل الاجتماعية داخل المؤسسة، ثم تطورت الاهتمامات بالعوامل الخارجية المؤثرة على هذا على المؤسسات.(20)

ب– المرحلة الثانية: هي مرحلة علم الاجتماع التنظيمات، في هذه المرحلة لم يعد ينظر للنسق المؤسسي بكل أشكاله على انه فضاء للإنتاج، بل أصبح ينظر لها على أنها نسق تنظيمي يضم مجموعة من الفاعلين، يهتم بعلاقات السلطة واستراتيجيات الفاعلين فيها، التي تشكلت على خلفية العلاقات الاجتماعية وعلى أرضية مناطق الارتياب التي لم يستطع النسق التنظيمي أن يقننها.(21)

ج- المرحلة الثالثة: هي مرحلة علم الاجتماع المقاولة أي الانتقال من الاهتمام الصناعي والتنظيمي إلى الاهتمام بكل أنواع المشاريع والمؤسسات بكل أحجامها من المشروع إلى المؤسسة الصغيرة والمتوسطة وباختلاف مجالات عملها وحجم عمالتها والاستقلالية في السلطة...، وينظر إليها كآلية تنموية بمجتمع العمل وكيان اقتصادي واجتماعي في نفس الوقت، اقتصادية بفضل فاعليها واجتماعية بفضل علاقات الفاعلين فيها، فسوسيولجية المقاولة عمقت التصور السابق (الصناعي والتنظيمي) بمستوى تحليلي يتجاوز البعد الاقتصادي والانتقال إلى البراد يغم التنموي والاجتماعي والثقافي .

6- دراسة الفعل المقاولاتي في الجزائر:

عرفت الجزائر تدفق كبير في معرفة الدور الذي يمكن أن يلعبه القطاع الخاص في تحقيق التنمية وذلك بفسح الطريق أمام المستثمرين الخواص من أجل النهوض بالتنمية المجتمعية، وهذا ما عزز مكانة هذه الفئة السوسيو- مهنية التي كانت موجودة قبل الاستقلال خاصة في المرحلة الكولينيالية والتي تشكلت أكثر بعد الاستقلال.

1.6 ظهور المقاول في الجزائر (تحليل بيار بورديو):

يعتبر" بيار بورديو" عالم الاجتماع الفرنسي من بين المنظرين الذين اهتموا بدراسة المجتمع الجزائري وتحولاته الاقتصادية والاجتماعية، لديه العديد من المؤلفات من بينها " سوسيولجيا

الجزائر"، "العمل والعمال الجزائريين " فهي كلها دراسات سوسيو– اقتصادية للمجتمع الجزائري لها علاقة بظهور الفعل المقاولاتي،وا ٍذا كانت نظرته في تحليلاته السوسيولوجية حول المجتمع الجزائري، تذهب إلى أن المقاول موجود كفعل، أو شبه مقاول نتيجة لغياب المؤسسات الاقتصادية وكذا النمط الكولينيالي والوضعية الاقتصادية التي تتصف بالتبعية.

ففي كتابه "**العمل والعمال الجزائريين**" تحدث " بورديو" عن الانتقال من نمط الإنتاج التقليدي إلى أسلوب النموذج الرأسمالي الذي يفرضه المستعمر، وذهب إلى أن التنظيم الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع ليس نتيجة التطور الذاتي للفرد بل هو تغيير من طرف المستعمر بفرض أسلوب إنتاج يخدم المصالح الكولينيالية.(22) ،

فالجزائري حسب " بورديو" هو أقرب إلى المقاول أو الرجل الاقتصادي من خلال الحاجة الاقتصادية ودمج البنية الاجتماعية في البنية الاقتصادية، وهذا ما يؤدي به إلى اكتساب العديد من المواقف والسلوكات الاقتصادية من خلال تطور الحقل و هذا المقاول العامل يملك تحويل إبداعي une transformation créatrice

يبنى على أساس وراثي أو موقف عرفي في الاقتصاد التقليدي (23). ولقد حدد شرطين لكي تكون مقاولا وهما القدرة على القيادة والكفاءة التقنية.(24) ، وهذا ما لم يكن متوفرا في المقاول الجزائري في تلك الفترة الاستعمارية.

لقد اكتشف أيضا ما يعرف بالمقاولة العائلية من خلال تحليله للمجتمع القبائلي ونشاطاتهم الاقتصادية التي تعتمد على النمط العائلي وهي مقاولة أو مؤسسة يحكمها تنظيم عائلي(25) أي أن المقاولة كانت عائلية حرفية تقليدية تتميز بثلاثة أنواع من المقاولين:

- مقاولين الطبقة الكادحة التي تعمل من أجل الحاجة الغذائية.
- مقاولين متوسطين: هم المقاولين المتنوعين في المهن الاجتماعية والاقتصادية.
- مقاولين مسؤولين صغار على العمل الزراعي(26).

وفي الأخير نستنتج من طرح " بيار بورديو" بأن الفعل المقاولاتي الجزائري ذوا خاصية عائلية وهذا يرجع لنوع الأنشطة التي تكون وراثية، وهو يستعمل تقنيات مكتسبة عن طريق الخبرة والتدريب، فكرة الإبداع غائبة، لوجود نمط من التدريب الذي يتلقاه المقاول الحرفي تحت قيادة صاحب المقاولة، الذي لديه معرفة وخبرة وراثية بنشاط العائلي.

2.6- التحول الاجتماعي في الجزائر:

من خلال دراسته التي نشرت سنة 1989، والتي اهتمت بالتغير الذي حدث في المجتمع الجزائري منذ الخمسينيات إلى غاية الثمانينات(27). تناول " بوخبزة " فيها مسالة المقاول الجزائري بمنظور تاريخي، وقام بشرح هذه المقاربة بدراسة حدد فيها مرحلتين

تطورت فيها المقاولة مرحلة قبل الاستقلال وبعده(28). وهذا ما سنعرج عليه فيما يلي:

- **مرحلة قبل الاستقلال** : ركز في هاته المرحلة على الجانب الاقتصادي في ظهور الفعل

المقاولاتي، من خلال التحكم بالثروة الاقتصادية للبلد، التي كانت تواجد في يد سلطتين

(الطرف الجزائري والطرف المستعمر)، من خصائصها أنها تتميز بالاضمحلال الاقتصادي والهيمنة الاستعمارية وهنا تتضح عوامل اختفاء المقاول الجزائري في ظل وجود المقاول البرجوازي المستعمر(29). ولقد كان المقاول قبل المرحلة الاستقلال يتقلد مناصب عدة كرب عمل يتفرع تخصصه إلى عامل وتاجر وحرفي...الخ.

- **مرحلة بعد الاستقلال** : تميزت هذه المرحلة بعدة خصائص مهدت لولوج المقاول والفعل المقاولاتي في الاقتصادي الجزائري والنهوض بتنمية مجتمع العمل فتميزت بإعادة البناء الاجتماعي والاقتصادي (30). وهذا كل من أجل ملئ الفراغ المعروف في البنية السوسيو– اقتصادية الذي عرفتها الجزائر، وكذا انفجار أرباب العمل وفرض القوة التجارية والصناعية التي مهدت الطريق للقطاع المقاولاتي الخاص حيث عرفت هذه المرحلة زيادة

أرباب العمل من 120 ألف سنة 1954 إلى 241 ألف سنة 1980(31) .

ومن خلال تحليل " بوخبزة "حول أرباب العمل الجزائريين وتطورهم قبل وبعد الاستقلال، نستنتج أن الفعل المقاولاتي موجود لدى أرباب العمل وما هومهد لظهور المقاول الجزائري الخاص الذي ساهم بدوره في تطور القطاع الخاص.

3.6- المسار السوسيو- مهني لرؤساء المؤسسات الجزائرية (دراسة بيناف):

تعتبر دراسة " بيناف " التي نشرت عام 1981حول المقاولين الجزائريين في الصناعة، مقاربة سوسيولجية هامة في دراسة الفعل المقاولاتي في الجزائر(32). هدفت إلى معرفة الخلفية الاجتماعية التي ساهمت في تكون طبقة المقاولين الجزائريين اعتمد فيها الباحث على عينة مكونة من 220 مقاول، توصل من خلالها إلى وجود ثلاثة أنواع من المقاولين :

1/المقاولين التجار: وهم تجار قدامى يملكون مكانة اقتصادية يتمركزن في الشرق الجزائري والجنوب الشرقي كانوا مختصين في التجارة ثم توجهوا لاستثمار في الصناعة عند صدور قانون الاستثمار 1966 تتميز مقاولاتهم بصغر الحجم(33). ولم يكونوا متخصصين في العمل، كون أن دخولهم لمجال الصناعة جاء بطريقة حتمية.

2/المقاولين العمال والتجار الصغار : توجهت هاته الفئة لإنشاء مقاولات خاصة، وهذا لتحسين مستواهم الاقتصادي، وتقوية وطنيتهم أكثر بعد عودتهم من المهجر، وفي هذا الصدد يقول بيناف : " إن وجود مقاولين من أصل بسيط، ومن طبقات متوسطة وشعبية يعطي رأسمال الجزائري طابعا خاصا "(34). من خصائص مؤسساتها أنها تظهر وتزول وتعرف نوع من الاضمحلال نتيجة بساطة الآلات كما أنها كانت تتميز بالإنتاج الموسمي(35).

3/ المقاولين غير المسيرين: من خصائصهم أنهم رؤساء أعمال في ورشات أوربية، لا يملكون خاصية التسيير بمؤسساتهم، يقومون بتفويض مهمة التسيير بالبحث عن مسيرين من عدة جنسيات(36). ساهمت الهجرة في تكوينهم من خلال احتكاكهم مع العمالة الفرنسية والأوربية وكان أغلبهم من منطقة القبائل(37).

وهكذا فإن دراسة " بيناف" قد قدمت مسار سوسيو–مهني للمقاول الجزائري من المرحلة الكولينيالية إلى غاية الثمانينات. وأعطى تحليلا منطقيا لولوج المقاول الجزائري إلى القطاع الخاص وبين أن المقاول الجزائري ليس إعادة إنتاج فعل مقاولاتي آخر بل هم من أبناء تجار وحرفيين وباعة.

4.6- الفعل المقاولاتي وتكون الطبقة البرجوازية الصنـاعية في الجزائر (تحليل الجيلالـي اليابس):

تعتبر دراسة " **الجيلالي اليابس**" من الدراسات التي اهتمت بالفعل المقاولاتي، والتي كانت حول ظهور المقاولة البرجوازية الصناعية ومساهمة المقاولين الخواص، ومن النتائج المتوصل إليها أن إنشاء المقولات يرجع إلى التسهيلات التي قدمها القطاع العام (الدولة) إلى القطاع الخاص خاصة في مجال الصناعة في كل المستويات(38) . فالقطاع العام يعتبر قاعدة التواجد والعيش للقطاع الخاص، حيث يسمح بإعادة إنتاج نفسه، فنشأة المقاول والمقاولة الصناعية الخاصة يرجع إلى تمركزها وتموقعها في ظل القطاع العام (الدولة) من خلال كل أنواع الدعم، ويعرف المقاول على انه : " هو ذلك الشخص الذي يجمع ثم يسير، ويعيد إنتاج العوامل المكونة للعملية الإنتاجية"(39) .والمقاولين هؤلاء الذين حددهم " الجيلالي اليابس" يسيرون مقاولاتهم عن طريق المزج بين ما هو حديث وما هو تقليدي.. (40) ، والمقاولة هي كيان اجتماعي قبل أن تكون كيان اقتصادي حيث قال في هذا الصدد :" المقاولة ليست فقط مجال اقتصادي ولكنها في نفس الوقت مجال متأثر بالإبعاد الاجتماعية والسياسية."(41) هذه الأبعاد هي التي كونت الفكر المقاولاتي الخاص من اجل النهوض بالتنمية المجتمعية، كما أنه قد ركز على رأسمال الاجتماعي الذي يلعب دورا هاما في نجاح المقاولة، والمقاول الجزائري ليس ذلك المقاول

الشومبيتري، بل لديه وجود اجتماعي واقتصادي يعتمد على العائلة.(42) ، فللعائلة دور مهم في من حيث الإنشاء والتمويل للمقاول الخاص.

نستنتج من دراسته أن وجود المقاولة الصناعية البرجوازية مرتبطة بالدولة والقطاع العام وهذا من خلال العلاقة المتكاملة ما بين القطاعين، من خلال توفير كل أشكال الدعم للقطاع الخاص من اجل تحقيق التنمية .

5.6- الإصلاحات الاقتصادي وبروز المقاول الجديد (دراسة أحمد بويعقوب):

من خلال دراسته للمقاولين الجدد، يؤكد " احمد بويعقوب " انه قبل الإصلاحات الاقتصادية كان من الصعب تحديد المعالم السوسيو-اقتصادية للمقاول الجزائري، ولكن مع الإصلاحات الاقتصادية تحدد ذلك وظهرت إلى الساحة الاقتصادية فئة المقاولين الجدد التي تختلف عن المقاولين القدامى(43). فتحرير الاقتصاد الجزائري وفتح الخوصصة سمح بظهور المقاولين الجدد، وولوجهم عالم المقاولة وا ٍنشاء المؤسسات بكل أنواعها الصغيرة والمتوسطة الذين يتميزون بخصائص تفصلهم عن المقاولين القدامى وتتمثل خصائصهم فيما يلي :

من حيث المستوى التعليمي نجدهم يختلفون عن المقاولين القدامى، فمعظمهم مقاولين شباب حاملين لشهادات جامعية عليا، وهم

يحملون فكرا تجديديا وا إبداعي، أغلبيتهم من عائلات تمارس التجارة والحرف، ونشاطهم الاقتصادي يتمركز في التجارة، تميزت مؤسساتهم بكونها صغيرة ومتوسطة ومقاولات خاصة، ومشاريعهم تعتمد على رأسمال الاجتماعي،أما الذين ورثو ا نشاطهم التجاري، تشكل مؤسستهم كمحل تجاري أو مشروع أو إعادة هيكلة(44) ، ولقد كانت علاقة المقاول برأسمال علاقة بالمعنى الاقتصادي.

تضمنت هذه الدارسة أهم خصائص المقاولين الجدد المبدعين، الذين ارتبط ظهورهم بالظروف الاقتصادية والسياسية والذين كانوا يتميزون عن المقاولين القدامى.

6.6- المقاولون الجزائريون " مجموعة مختلفة ما بين المنطق العائلي والمنطق الاقتصادي ":

جاءت أعمال " آن جيلي " لمعرفة أسباب ظهور المقاول الجزائري كفاعل اقتصادي واجتماعي وتحديد المسارات السوسيو-مهنية عن طريق تحليل قدراتهم على إنشاء مقاولات خاصة، ولقد توصلت من خلال دراستها إلى وجود خمسة نماذج للمقاول الجزائري(45):

1/ المقاول الإطار: هذه الفئة المقاولاتية تتميز بمستوى تعليمي مرتفع، فهم كانوا إطارات قدامى في القطاع العمومي، شغلوا مناصب عديدة في القطاع العام تعرفوا فيها على آليات التسيير، وهذا ما مكنهم من إنشاء المقاولات التي تزامنت مع الإصلاحات الاقتصادية سنوات 90، كما انه توجد عوامل اقتصادية أخرى كالتسريح التعسفي والخوصصة...كلها أدت إلى ظهور هاته الفئة.

2/ المقاول المغترب: تتميز هذه الفئة بتقاليد الهجرة وتمركزت بقوة في منطقة القبائل، هاجروا إلى فرنسا وعادوا منها سنوات الثمانينات حين صدر قانون الاستثمار الخاص لسنة 1982، مارسوا أنشطة عديدة في المهجر خصوصا التجارة واكتسبوا خبرة مهنية، وكانت لديهم فكرة الرأسمال والخبرة المهنية كضرورة أساسية لإنشاء المقاولات في الجزائر في تلك الفترة.

3/ المقاول الوريث: ويوجد ثلاث نماذج فرعية ضمن المقاول الوريث:

الشباب المقاولين: يترواح سنهم ما بين 25 و35 سنة، يملكون مقاولات خاصة قديمة ورثوها عن أباءهم مستواهم التعليمي مرتفع، يعتمدون على سلوكياتهم المهنية غير تقليدية التي ورثوها.

المقاول الوريث: الذي يتراوح سنهم ما بين 40 و50 سنة اكتسبوا خبرة مهنية في المؤسسة العائلية من خلال تمرنهم على العمل لسنوات، لديهم مستوى تعليمي ضعيف، ينتمون إلى نفس المنطقة.

المقاول الوريث: أنشئوا مقاولاتهم في نهاية التسعينات بمساعدة أباءهم، لديهم تجربة مهنية ورثوها ورأس مال اقتصادي واجتماعي.

4/المقاول ذو التقاليد المقاولاتية :

من خصائصهم أنهم في الخمسينيات من العمر، تأهيلهم العلمي ضعيف، كانوا يملكون مقاولات خاصة، فشلت بأسباب اقتصادية واجتماعية فانشئوا مقاولات جديدة بفضل خبرتهم المهنية السابقة في ذلك المجال، يملكون تقاليد عائلية وتجارية هدفهم توظيفها في مقاولات عائلية من اجل توفير العمل لأفراد العائلة دون اللجوء إلى مؤسسات أخرى، "استثمار هم في مدينتهم اجتماعي أكثر منه اقتصادي، من خلال الدعم المالي"

5/ المقاولين العمال: عملت هذه الفئة لمدة طويلة في القطاع العام، اكتسبوا خبرة مهنية نتيجة العمل، وتزامنا مع الأزمة الاقتصادية التي

مست الجزائر آنذاك، والإصلاحات الاقتصادية المعروفة سنوات التسعينات والتسريح التعسفي للعمال قاموا بإنشاء مقاولات خاصة، يمتلكون المعرفة المهنية والخبرة طويلة المدى في القطاع العمومي، وشبكة علاقات اجتماعية قوية.

لقد توصلت الباحثة " آن جيلي" إلى أن النماذج المقاولاتية السابقة ظهرت في الحقل السوسيو– اقتصادي وتميزت بخصائص ومميزات اقتصادية واجتماعية، كما أنه توجد هنالك علاقة بين المقاول وشبكة العلاقات الاجتماعية، خاصة العائلة، أي أن المنطق الاقتصادي والاجتماعي من مميزات الفعل المقاولاتي الجديد المعتمد على المسارات المهنية السابقة.

خاتمة:

من خلال عرض مختلف الاتجاهات النظريات والمقاربات السوسيولوجية التي تناولت الفعل المقاولاتي وحللته، يبرز لنا ذلك الدور المهم الذي يلعبه المقاول في القطاع الخاص، لكنها تبقى غير كافية من أجل تحقيق التنمية، لذلك نقترح مجموعة من توصيات تجعل من قطاع المقاولة أكثر تنمية تتمثل فيما يلي:

* الاهتمام بالفعل المقاولاتي الخاص أي من فكرة الإنشاء إلى التوسع، لأنه اغلب اقتصاديات الدول تقوم على الفعل الاقتصادي الفردي المنتج.

* ضرورة إنشاء المقاولات الخاصة على الشكل الحديث، بتدفق تكنولوجي عالي.

* نظرا لصعوبات التمويل التي تواجهها المقاولات في القطاع الخاص، ينبغي توفير المساعدة اللازمة بإزالة كل العراقيل للمستثمر خاصة الإجرائية منها.

* تهيئة المناخ الاستثماري عن طريق تحسين المنظومة المؤسسية لتنمية مجتمع العمل والتحسين في تسيير المشاريع وتوزيعها حسب ما تتطلبه المنطقة.

* التشجيع نحوى الاهتمام بهذا القطاع، من اجل تكوين وتزويد الطالب بهذا الفعل السوسيو–اقتصادي من خلال ملتقيات علمية، وعلى علم الاجتماع أن يطور من اهتماماته بسوسيولجيا المقاولة

كتخصص ضمن فروع علم الاجتماع ويبقى هذا التخصص مفتوح على مجتمع العمل من خلال ربط التكوين الجامعي بالمقاولات في القطاع الخاص وبالتالي تحقيق التنمية على كافة المجالات.

قائمة المراجع :

1- فوزي بوخريص، **مدخل إلى سوسيولوجيا الجمعيات** (المغرب : إفريقيا للنشر، 2013)، 63.

2- Georges lapassade et lourau rené , **clefs pour la sociologie** (Paris : éd.seghers , 1971) , 133.

3- Rymon Aron, **les étapes de la pensée sociologique. V1**.(Tunis :Cérès éd.1994), 143

4- أنتوني غيدنز، **الرأسمالية و النظرية الاجتماعية الحديثة** ، ترجمة أديب يوسف(.سوريا :الهيئة العامة السورية للكتاب)، 138.

5- انظر كارل ماركس، **رأسمال** الجزء 2، ترجمة راشد البراوي (القاهرة :مكتبة النهضة المصرية).

6- أنتوني غيدنز ، **علم الاجتماع** .ط4، ترجمة فايز الصباغ(لبنان :المنظمة العربية للترجمة ، 2005)، 68.

7- نفس المرجع ، ص69.

8- Linda rouleau, **Théorie des organisation**(Québec ;presses de l'université de Québec ,2007),54.

9- كريم شويمات، " **دوافع انشاء و سيرورة المؤسسة المصغرة لدى الشباب البطال** "(أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر .2011) ، ص89.

10- Phillip Steiner, **LA sociologie économique** (paris ; la découvert,2005). 13.

11- ماكس فيبر، الأخلاق **البروتستانتية و روح الرأسمالية** ، ترجمة محمد علي مقلد (لبنان : مركز الإنماء القومي) ، 36.

12- انتوني غيدنز، علم **الاجتماع، مرجع** سابق، ص .71.

13- نفس المرجع، ص71.

14- منيرة سلامي، "**دراسة وتحليل واقع المقاولة النسوية بالجزائر**" (أطروحة دكتوراه، جامعة ورقلة، الجزائر، 2015)، ص.34

15- جوزيف. شومبيتر، الاشتراكية **والرأسمالية والديمقراطية. ط1**. ترجمة حيدر حاج اسماعيل. (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011) ، 22.-23.

16- Philipe Steiner, Op.cit. p.24.

17- IPID.P.10.

18- عبد الغني زياني، **سوسيولجيا المقاولة بالمغرب –مدخل الى منجز لحبيب امعمري**- ط1(فاس ، المغرب :منشورات دار ما بعد الحداثة ، 2015) ، 15.

19- مديحة احمد عبادة، علم الاجتماع الصناعي. ط1. (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2010)، 7.

20- عبد الغني زياني، مرجع سابق، ص22.

21- P.bourdieu et a.darbel ,**travail et travailleurs en Algérie**(paris :éd mouton,1963),383.

22- Houria Talleb, « **Ouverture économique et dynamique entrepreneuriale .essai de modélisations des déterminants territoriaux de la création de l'entreprise** » (thèse de doctorat, université de tizi ouzou,2011),40 Op.cit.p40.

23- P.bOURDIEU, **LES STRUCTURES SOCIALES DE l'économie** (paris: seuil,2000),.279

24- P.bourdieu,**la sociologie de Algérie** (.France ; puf),12-14.

25- P.bourdieu ,a.darbel ,op.cit.p523.

26- Boukhobza.m. ratures et transformation sociales en Algérie .Algérie ; o p u ;1989

27- Henni, Mustapha. **"les entrepreneurs de TPE** ". Thèse de magister .Algérie : Oran .2012.p38.

28- Ibid ,p..41.

29- Amer m .amer et belkacem.b , **le Maghreb et l'indépendance de l'Algérie**(France ; Karthala,2012),52.

30- Jean peneff , **industriels algériens**(paris ;cresm-CNRS,1981),24

31- Peneff (J), « **Les chefs d'entreprise en Algérie** », in Acte du colloque : Entreprise et entrepreneurs en Afrique, Harmattan (Paris , 1983),62.

32- Jean peneff. Industriels algériens. Op.cit.94

33- كريم ، شويمات. مرجع سابق ، ص110.

34- Peneff Jean. **Carrières et trajectoires sociales des patrons algériens**.

Op.cit.p.62

35- Ibid,p.69.

36- Ber nard chantal, **en Algérie une nouvelle valeur, l'auto-emploi in tiers monde**. tome1 (1988) 295,.318.

37- Liabes Djilali. **Entreprise entrepreneurs et bourgeoisie industrie**. Sociologie de l'entreprendre. Tome 1988.p144,

38- نقلا عن نعيمة، نيار. مرجع سابق، ص45.

39- Liabes,djillali. **entreprise et bourgeoisie d'industrie en Algérie**(Algérie cahiers du cread.1984),102.

40- نقلا عن ، "المقاول الجزائري الجديد بين المعاناة و الإبداع(رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر 2003) ص49". حياة مراح

41- G.ferreoll, **dictionnaire de sociologie** (France : armon colin ,2004)

D.liabes.ques qu'entreprendre ?élément pour une sociologie des espaces productifs .cread.n11.3ém.tr.1987.p31.p42.

42- نقلا عن houria.taleb.op.cit.p.94.

43- Ahmed Boyakoub .**les nouveaux entrepreneurs en Algérie en période de transition, la démention transnationale**, CREAD. Alger n40,2ém tr.1997.p.105

44- ibid,p.106.

45- Abderrahmane Abdou ; et al. **Entrepreneurs et pme – approches algéro .françaises** (paris ; l'harmattan.2004) ,129.